

الجامعة في النضال

من أجل التقدم الاجتماعي

للأستاذ جوستافو كولونيتي

مدير المجلس القومي لدراسات العلمية في روما

[مهدى لك الفاضل على جامعتي فؤاد وقاروق]

إن الذين يشاهدون بقلق وضع أوروبا المحزن ، ويتبعون باهتمام الجهود المضنية التي تبذلها في سبيل تجديد إنشائها وتعميرها ، ليتساءلون أحياناً عما ينقص القارة في هذه الآونة .

واعتقد أنه ينبغي أن نجيب دون تردد أن أهم ما تحتاج إليه أغلب أقطارنا ، إنما هو نخبة جديدة من الرجال يكون بمقدورها قيادة بلادها نحو المستقبل وفي المستقبل .

والواقع أن الطبقة الحاكمة لما قبل الحرب قد أفلست ، فقد حسبت أنها قد لبثت حاجة الرء إلى الحرية ضمن نطاق الاقتصاد الحر ، ولكن هذا الاقتصاد أدى إلى مساوى الرأسمالية الأكثر أناقية والأكثر ضلالة . وقد ظننت أنها قد لبثت حاجة الجميع إلى النظام والمدالة ، ولكن ذلك لم يحصل إلا عن طريق دفاع لا هوادة فيه عن الحقوق الزعومة للطبقات المتمتع بالامتيازات الأمر الذي أدى بصورة مذهبية إلى إعاقة التطور الطبيعي للنظام الاجتماعي نحو توزيع أعدل لخيرات الأرض . وقد خيل إليها أنها قد لبثت الحاجة إلى التقدم باستخدام العلم والرق الفني كأدوات للقوة والجبروت ، ولكن ظهر في الوقت المناسب أن العلم والرق الفني صالحان لزرع الخراب والموت فحسب .

ويبدو الآن هذا الإفلاس جلياً في ضمير جميع الشعوب ، وأنت اللامبالاة التي امتلست بها الشعوب إلى الطفافة (الديكتاتورين) ، والتردد الخطر الذي تظهره هذه الشعوب في محاولاتها لتحقيق الرجوع إلى الأشكال الديمقراطية . كل ذلك يعطينا مقياساً عن فقدانها المطلق للثقة في حكومتها السابقين ، وعن حاجتها الماسة إلى رجال جدد . ومن واجب الجامعة تهيئة هؤلاء الرجال وتكوين النخبة الصالحة منهم .

ومن ذلك تبدو لنا المسئولية التي تقع على عاتق الجامعة لأنها لم تعرف في الماضي كيف تخرج لنا رجالاً قادرين على المعرفة والتنبؤ وتدير الأمور . ونستنتج من ذلك ضرورة تجديد كيان الجامعة وتحملها للمهمة الثقيلة وهي قيادة الإنسانية نحو نظام جديد

وهي في الحقيقة مهمة ثقيلة الأعباء مفعمة بالمصاعب ، ملآى بكل مجهول ، إذ لا معنى ذلك إعادة إنشاء ما أصابه التدمير مادياً فحسب ، بل اجتذاب الحكم بالتدمير من جديد وبأقرب وقت على ما سنشرع بيناه . ومن البهل علينا تمييز أسباب الحرب ومسئولياتها ، ولكن لو ذهبنا في تعمق الأشياء إلى أبعد من ذلك ، لرأينا وجوب التسليم بأن الحرب ما كانت إلا المظهر الخارجي الفاجع لاستحالة استمرار الإنسانية على العيش في ظروف مادية وعلاقات متبادلة ، ثبت أن العالم قد تخلى المصير الذي وجدت فيه ولقد تمينت معالم هذا التخلي عن طريق التقدم العلمي والرق الفني ، هذا التقدم الذي وضع تحت تصرف الإنسانية كمية في تضخم مستمر من الثروة لا تستفيد منها إلا بعض الطبقات الاجتماعية — ولكن هذا الحادث لا يزال في دور التخطيط ؛ فالتقدم العلمي والرق الفني سيستمران في النمو بشكل يزداد على الدوام سرعة ووزناً في النتائج في كافة النواحي

ويوشك أن ينهار بنياننا الاجتماعي الذي لم يستطع مقاومة النزوات الفنية للنصف الأول من هذا القرن ، وستقل مقاومته لصدمة النزوات الفنية التي ستطعم بلارب السنوات القادمة . ولقد أضحت التقسيم الحالي للبشرية إلى طبقات بالياً وعكوماً عليه بالزوال وستلغيه فجأة ثورة دامية لا مثيل لها في التاريخ ، — إذا لم نعرف منذ الآن كيف نتغلب عليها بإيجاد نظام جديد نتاح فيه للناس دون ما تمييز في الطبقات نفس الظروف للتمتع بالخيرات التي وضعها التقدم العلمي والرق الفني تحت تصرفنا بمقياس واسع وبشكل دائم الاستمرار

فإيجاد هذا النظام الجديد ، وصياغته بشكل يتفق واطراد الرق الفني إلى حد لا يستطيع تحويله كما جرى غالباً في الماضي إلى أدوات اضطهاد في يد فئة قليلة من أصحاب الامتيازات ، توجهها نحو كمثل بشرية محرومة من وسائل الدفاع فاقدة الأمل والاعتراف لجميع البشر ، بحق الانقسام القاتل لخيرات الأرض وإمكانية

والفرض من ذلك في الوقت ذاته حمل الرأي العام على تقدير كل شكل آخر من أشكال النشاط المنتج الذي لا تقل حاجة المجتمع إليه عن حاجتها إلى العلماء وتوجيه جميع الذين يستعدون الآن بأن لهم الحق في الدراسة لا شيء إلا لكونهم ينتمون إلى الطبقات المتمتعة بالامتيازات فيجملون الجامعات مزدهرة بهم ، ليصبحوا في المستقبل من التخلفين عن مراتبهم Déclassés ، لا فائدة فيهم لأنفسهم ولا للآخرين ، توجيه هؤلاء نحو هذه الأشكال الأخرى وإعدادهم لها بصورة تدريجية

ولا يمكن بلوغ هذه النتيجة إلا بقلب الوضع الحال رأساً على عقب ، وهو قلب لا تستطيع تحقيقه إلا الدولة ، وذلك بإدخال الدراسات العليا ضمن نطاق الوظائف الاجتماعية واعتبار الصفقات التي تتطلبها بين تلك التي على المجتمع أن يحتمل أعباءها في سبيل المصلحة العامة

وفي هذا المعنى ينبغي الاعتراف بأن قطراً واحداً قد اقتحم المشكلة بكل اتساعها إلى الآن ، ألا وهو الاتحاد السوفياتي . ولقد كانت التقاليد في الأقطار الغربية حائلاً دون أي تجديد . وسنرى عما قريب ما إذا كانت هذه التقاليد التي نثر بها بحق ، ستعرف أن تكون نقطة الانطلاق لنظام جديد يتلاءم فيه الماضي المجيد مع مقتضيات الوضع الجديد

وليس من شك في أننا سننجز بهذا الثمن فقط في الإبقاء على مركزنا على رأس الحركة نحو التقدم الاجتماعي وفي إنقاذ ما تبقى من حضارتنا

وينبغي أن تتجدد الجامعة لا في انتخاب الطلاب لحسب ، بل في جهازها الداخلي أيضاً ، وذلك لسببين اثنين يجب التسليم بهما : أولاً : لأنها لم تكافح الفاشية دأماً عند ما كان ثمة فحة في الوقت لمكافحتها في المجال المذهبي terrain Doctrinal كبداً لا يتلاءم مع أي شكل من أشكال الحياة الفكرية والبحث الحر عن الحقيقة

ثانياً : لأنها بالت في تناسي دورها في تكوين العقول وخلق معنى مسئولية الفكر تجاه الواقع والتاريخ . لقد كونت الجامعة أساتذة قلقنتهم أغص أسرار الرق الفني وفتحت أمامهم مسالك العلم السرية ، ولكنها أهملت توجيه

مساهمتهم في التقدم المشترك والتمتع به بصورة مشتركة . هذه هي مهمة الغد العظيم النبيلة الشاقة التي لا تقبل أي تأجيل أو توصيف وإليك في الوقت ذاته تجديدًا للصورة الجديدة للجامعة الغد : على جامعة الغد أن تكون أول من يبادر إلى تحقيق زوال التفاوت الطبقي ، وذلك بأن تقبل في أحضانها كل شاب يتصف بالذكاء وحسن النية ، مهما كانت ظروف أسرته الاقتصادية والاجتماعية ومهما كانت موارده محدودة

ولقد أنجى هذا الاقتراح منذ مدة مكاناً شائماً ، فنعثر عليه في برامج مختلف الأحزاب السياسية في كافة الأقطار ، ولكن علينا ألا نحب أنه نتيجة مكتسبة ومسلم بها ، فهو على النقيض من ذلك ، نصر لا يمكن إحرازه إلا مقابل أعنف المارك وأهولها وفي الحقيقة إن أغلب أولئك الذين يسلّمون نظرياً في كثير من السهولة برأينا لا يقصدون سوى ازدياد قل أو كثير لكراسي الدراسة المجانية التي كان يحسب فيما مضى إمكان حل المشكلة عن طريقها

يبد أن هذه الكراسي المجانية قد أتاحت لعدد من هؤلاء الشباب الخروج بل الهرب من الطبقة العاملة ليأخذوا أمكنتهم بين الطبقة البرجوازية أو الطبقة الحاكمة

وإذا كان من العدل أن نتعرف بحسن نية أولئك الذين أسسوا هذه الكراسي الدراسية رغبة منهم في مساعدة أفضل أبناء الشعب على ارتياد مناهل العلم والتربية ، فينبغي التسليم أيضاً بأن هذه المؤسسات قد ساعدت على تمييز معالم هذا التسابق نحو إحراز شهادة تعتبر كوسيلة وحيدة لبلوغ أعلى الدرجات في العلم الاجتماعي ، هذا التسابق الذي أفسد بصورة خطيرة كل حياتنا الجامعية

فالإكثار من الكراسي الدراسية المجانية يبيح المشكلة الاجتماعية على حالها دون أن يحمل إليها حلاً ، إذ ليس القصد توسيع أبواب السخول إلى الجامعات ، بل انتخاب أولئك الذين يدعون لسخولها وانتخابهم بشكل أوسع وفي محيط اجتماعي أرحب . وهدفنا من ذلك منح إمكانيات أعلى مراتب الثقافة لكل الذين يحوزون من المواهب المكرية ما يسمح لهم ببلوغها ول هؤلاء فقط

وعندئذ تسمى الجامعة هيئة يصبح أعضاؤها ويشمرون شخصياً
أساتذة وطلاباً أنهم مسئولون عن الشكل الذي يؤدونه به
رسالتهم الاجتماعية ، وسيصبحون ويشمرون أنهم أعضاء نخبة
ممتازة مدعوة إلى قيادة العالم نحو مصير أفضل ، نخبة ممتازة لا تباعد
فيها بين أفرادها الحدود السياسية ، وسيكون هذا أولى الصور لهذا
المجتمع الدولي الذي سيجذب وحده أوروبا كوارث جديدة

وسيكون في وسع البشر أن يصبحوا أخيراً ، في عالم حر مفرم
بالحرية ، سادة مصائرهم ، وسيكف التقدم العلمي والرقى الفني عن
ترويعنا ، ويستخدمان عندئذ لجمال الحياة أقل خشونة وجفافاً
وأجدر بأن نعيشها .

ترجمة

[عن مجلة L' université] غالب عارف طوقار

إعلان

تعلن النيابة العمومية الوطنية أن
لديها وظائف كتابية بالنيابات المختلفة من
الدرجة الثامنة .

ويشترط في الطالب الذي يمين في
هذه الدرجة أن يكون حاصل على شهادة
الدراسة الثانوية قسم خاص « التوجيهية »
أو شهادة الدراسة الثانوية قسم عام
« الثقافة » بشرط أن يقضى الطالب
قبل التعيين مدة في التمرين على الأعمال
الكتابية بإحدى النيابات القريبة من
محل إقامته بدون مرتب .

فملي راعبي التعيين أن يقدموا
طلابهم على الاستمارة رقم ١٦٧ ع . ح
باسم حضرة صاحب العزة مدير إدارة
النيابات الوطنية بباب الخلق .

٦٣٥٩

اتباهم نحو الخير والشر للذين كان في مقدور العلم والرقى الفني
دفعهما إلى الشر ، وإفهامهم أنهم مسئولون إلى حد ما عن هذا
الخير والشر . ولقد أهملت إفهامهم أيضاً أنه ليس من حقهم التجرد
وعدم المبالاة بالروابط التي تربط دراساتهم بحياة البشرية ، وتراخت
عن تلقينهم أن جهودهم لا تكون نبيلة ولها ما يبررها إلا إذا
كانت تتوخى عيشة أفضل للإنسانية جمعاء .

فعلى الجامعة إذن أن تستعيد السيادة على نفسها . عليها أن
تضع حداً للتخصص المفرط وتوسع نطاق التعليم الفني . وعليها
أن تبذل عنايتها ، لا في تخريج علماء وقتيين فحسب ، بل في
تكوين رجال بأوسع معاني الكلمة وأجدرها بالفهم والإنسانية ،
رجال لا يبحثون إلا عن الحقيقة ، ويعرفون أنه لا يمكن بلوغها
إلا في جو من الحرية

وستتخذ النضال ضد الفاشية مكانه ضمن نطاق الحياة الجامعية
فوراً وبصورة طبيعية ، لأرت الفاشية إذا كانت قد أنهزمت
عسكرياً فتوارت عن المسرح السياسي مؤقتاً ، فإنها لا تزال تعيش
بين ظهرائنا بشكلاها الزوج وهو الكذب وروح الشدة
والاقتسار ، فيبني الاستمرار في مكائدها تحت هذا الشكل
الزوج .

أما الجامعة ، فهي المكان الذي يمارض فيه الكذب بالبحث
الأمين المجرد عن الحقيقة . الجامعة هي المكان الذي يمكن فيه
إلحاق الهزيمة بروح الشدة والاقتسار عن طريق هذه الحرية التي
يطالب بها الفكر بالحاح كأعظم النعم الإلهية .

فعلينا إذن أن نعيد في الجامعة ، إلى الحقيقة والحرية ، الإجلال
والقدسية ، وذلك بأن نقصص عنهما كل من قاذمهما بالاستسلام
إلى الخداع والتهديد أو التضليل

يجب المطالبة والظفر بكبار الحقيقة وتمجيدها وحتى إعلانها
في الجامعة ولا سيما حين لا تروق في عيون ذوى السلطان في
الأرض .

يجب أن تكون الجامعة حصناً للحرية ، وعلينا أن نطالب
وأن نظفر بعدم التكر لها في الجامعة ، وينبغي ألا نضن بالحرية
إلا على أولئك الذين يرغبون في استخدامها من أجل قتلها